

## حول علاقة النظام السياسي الفاشل بأمراض القلب



**مروان الغفوري**  
thoyazan@yahoo.com

بأمراض القلب. وحددت، كما في منشورات مجلة العلوم الأميركية منذ ثلاثة أعوام، السلوك الفردي الأثافي المتحرر من الروابط والعلاقات الاجتماعية باعتباره المتورط الأول، والضحية في الوقت نفسه. فالعلاقات الحميمة، الأسرية والعاطفية، تعمل على تحقيق قدر مقبول من الصحة النفسية، تنعكس بدورها على سلامة شرايين القلب، والقوى النفسية إجمالاً. هذه العلاقات أصبحت الآن واحدة من أهم مفقودات العالم الجديد، حيث غابت قيم الحق والخير. قيمة واحدة فقط هي التي لها الديمومة: الدارونية الاجتماعية، وبقاء الأقوى. ويبدو أن الأسرة عبر الزواج المبكر، والمتعدد، لحماية ذاته من التفات الكوني، من المشاكل النفسية التي يضخها النظام الحاكم. بيد أن النتائج، في ظل هذا الغبار الرهيب، تأتي مختلفة: اتساع في حجم الأسرة، غير مدعوم بعوامل بقائها. بالأخص: فرصة المعيشة، الصحة والتعليم. الأبحاث التي تجرى في هذا الصد،ظهر متورط جديد A Novel culprit يبدو أنه يرحف إلى الأمام ليحلل دور الكوليسترول وأمراض السكري في علاقته السببية بأمراض الشرايين القلبية. هذا المتورط/ المسبب هو النظام الحاكم، الإدارة السياسية.

يتحدث الباحثون، هذه الأيام، عن ارتفاع ملحوظ في أمراض القلب على إثر الأزمة الاقتصادية العالمية الجديدة، وما أنتجت هذه الأزمة من ظروف نفسية واجتماعية بالغة الصعوبة، عرّبت عن نفسها على شكل أزمت قلبية حادة. استخدم د. حمدي السيد، نقيب الأطباء في مصر، عبارة: يكس البشر، وهو يترجم ملاحظته عن الموجة الجديدة من أمراض الشرايين التاجية. أخبرني طبيب أجنبي، عمل في اليمن لفترة طويلة، أنه لم يكن يلاحظ حتى بداية التسعينيات حالات قلبية في المستشفيات اليمنية، إلا باستثناءات قليلة.

ما حدث بعد ذلك، هو أن مئات آلاف اليمنيين عادوا من دول الخليج بسبب موقف سياسي فاشل تبنته الحكومة اليمنية تجاه غزو الكويت، فانتقلوا صهوة الحصان المتعب. ثم تخلص الشقيق الشمالي من الرفيق الجنوبي في حرب أخذت أكثر من وصف: توطيد الوحدة بالدم، الانقلاب على الوحدة بالنار، وفقاً لإعلام الفريقيين. ودخل اليمن في معية نظام سياسي، لا علاقة له بالنظام والسياسة، أدار الشئسان العام بطريقة بدائية، تنتمي إلى مرحلة ما قبل ظهور المجتمع البشري، بالفعل. حيث يحصل الفرد على حقه بالقوة، وتدافع المجموعات البشرية المنفصلة عن وجودها بالقوة، مضافاً إليه حضور الدولة كقوة من القوى، مهمتها الأساسية: الدفاع عن ممتلكات أفرادها، من القوى الانتهازية المؤسسة لبنية الدولة، بالقوة أيضاً! الصورة الكلية هنا: غياب تام للمجتمع الكبير، والاستعاضة عنه بالمجموعات الصغيرة المتعددة، والفتنة: حالة الطبيعة الأولى، الهولي، السابقة للنظام البشري، كما أسماها جان لوك! أو هي: المشروعات البشرية الصغيرة، كما في التحذير الشهير لياسين سعيد نعمان. ثم حل محل لرئيس البلاد، بعد أكثر من ثلاثة عقود من المشاهدة، أن يسمي هذا المجتمع المفكك: رؤوس الثعابين!

خلا الجوّ، السياسي والعسكري، مجموعة من العصافير لكي تغرّد منفردة، لتدير دولة كبيرة تمتد على مساحة نصف مليون كيلو متر مربع، بمكون بشري يتجاوز العشرين مليوناً. شكلت هذه العصافير الجاهلة والطفيلية جماعة مصالح، أطلق عليها اعسافاً: السلطة. كانت الفرصة سانحة، فقد زج هذا النظام الجديد، رابطة المصالح الرأسمالية، بعصافيره لتدير كل مفاصل البلاد: المدرسة، الجامعة، المحافظة، المعسكر، الوزارة، الهيئة، البرلمان، النقابة، المستشفى، السفارة، المطار... الخ. وكانت النتيجة أن كل هذه البنى والمؤسسات سقطت في الفساد على نحو مربع، وغرقت في الفوضى حتى وصلت روائح هذا الدخان إلى أطراف الكوكب. أطلقت الدولة، عام «هيئة إدارة

شؤون رجال المال»، كما سخر منها ماركس وإنجلز في المينيفستو الشيوعي، منتصف القرن التاسع عشر! أطلقت عصافيرها في سماء اليمن الواسعة، بلا سابق خبرة، ولا تصوّر للمستقبل.

يمكن تخيل الصورة هكذا: يجلس رجل كبير على رأس مؤسسة (في الواقع: لا يمكن أن نطلق هذا الاسم في اليمن دون تحفظ) وهو يعلم أن المبرر العلمي والمهني لوجوده غير متوفر. تمر به الأيام وهو يفكر بالماضي، بينما لا يفكر أحد بسؤاله حول المستقبل. تتحول المؤسسة بفعل الزمن إلى بركة بيروقراطية لا تخدم سوى جهازها الإداري، في الأغلب. ويحصل جمع بسيط: يغرق اليمن في مستنقع مهول من المؤسسات الفاشلة، تشكل هذه المؤسسات بنية الدولة. وطبيعي أن تكون النتيجة: اليمن دولة فاشلة. في الواقع، فإن الله لم يخلق اليمن بلداً فاشلاً، البشر هم الذين عابوها، فغرقت في تسونامي الفشل المحض. على أية حال: النظام السياسي مسؤول بنسبة 80% عن تقدم البلدان أو فشلها، بالنسبة للعالم الثالث، كما في دراسة للدكتور المعزبالله عبد الفتاح، أميركي من أصل مصري. يبدو أن هذه الفرضيات العلمية لا تتردد في أن تجعل من النظام السياسي الفاشل عرضة لغضب المتضررين، الذين ليس بمقدورهم أن يكونوا حضاريين دائماً في التعبير عن إحباطهم وفشلهم!

تبدلت الحكومات في اليمن، لكن الفساد لم يتبدل. لقد كان يخرج في كل مرة برمان جديد، بخبرة أكثر ليونة، بقدرة عالية على التعبير عن خاصيته السيادية. وأبعد من ذلك، لم يكن الفساد سوى ظاهرة تعبيرية يكمن وراءها الخلل الجوهري، الفضي إليها، الخلل في بنية النظام، الذي يتخذ كل الاحتياطات، بما فيها الشكليات الديمقراطية، ليحفظ بقوامه الأساسي: فريدة، قبلية. يصاب المشاهد بالذهول وهو يسمع ذلك البيقن البدائي: تلفون سكرتارية الرئاسة يستطيع أن يحل كل مشاكل اليمن!

دارت الأموال في اليمن، وانحصرت في يد مجموعة قليلة «أوليغاركي» صاحبة امتياز النفوذ والثروة. هذه الفئة البشرية هي التي ستصبح فيما بعد: الدستور، والوحدة، والأمن والمستقبل الأفضل. وكانت النتيجة، كالعادة: المال والقوة. وهي القوة: هي السلطة، والشرعية، والعقد الاجتماعي، والنظام، كما يعتقد الآن ثورين في «ما الديمقراطية». لقد وقعت اليمن - البلد الذي أفضلته مجموعات قوية سياسية وقبيلية ومالية وعسكرية - في قبضة هذه القوى، التي أصبحت بفعل الزمن: هي الوطن، التاريخ

والمستقبل. بسقوط الدولة في يد الأوليغاركية، فمة النفوذ والثروة، خرج الملايين من الفاعلية، وتحولوا إلى مستهلك بسيط، ثم فقير، ثم معدم. وهنا بدأ اليأس... أصبح اليمن بين صورتين: الدولة الليبتيان، أي التتين كما أسماها توماس هوبز، والمجتمع الغوغاء - كما يسميهم رجال المال دائماً- الغارق في الحاجة إلى ما فوق أذنيه. هذه الحاجة القاتلة ستعبر عن نفسها في شكل أمراض قلبية قد تختصر معاناته إلى الأبد. وهكذا اكتظت المستشفيات والطارات، ومن خلفها المقابر، بضحايا أمراض القلب... هؤلاء القتلى البؤساء الذين نحرتهم السياسات الفاشلة.

من جديد: هل يمكن أن تقاضى الأنظمة السياسية بنهمة القتل، كما فعل البعض مع شركات التدخين؟ هناك علاقة وثيقة، أثبتتها المعامل الجينية: التدخين والفساد السياسي يتسببان بشكل مباشر وغير مباشر في ارتفاع أمراض وفيات القلب. سؤال أثير: غرق البرلمان اليمني في جدل بينزني لأكثر من ثلاثة أشهر حول دية القتل شبه العمد، فيما يخص وفيات المرور.. فهل يمكن أن تصل قضية «موتى أمراض القلب بسبب فساد النظام السياسي» إلى البرلمان، ويبحث ما إذا كان هذا القتل: عمداً، أم شبه عمداً، وكيف يمكن لأولياء الدم أن يحصلوا على تعويض مقبول، إنسانياً وأخلاقياً؟ وأبعد من ذلك: أن يحصل المجتمع، كبنية واحدة، على تعويض عام يمكن أن يمنحهم قدراً من الثقة في المستقبل!

تجبر شركات التدخين على وضع صورة مفترعة في صدر علبه السجارة، تذكر الناس بوحشية هذا الفاعل. حسناً: بالنسبة للنظام السياسي الفاشل، أين يمكن أن توضع هذه الصورة؟ ليس لدي معلومات حول ما إذا كانت هناك صورة رمزية، في الأصل، لهذا القاتل.. أو أنها قد أصبحت بالفعل في طور البحث عن «علبة» خاصة، لكي تعلق عليها... بشفافية ونزاهة!.

## من واشنطن



**منير الماوري**  
Munir.mawari@gmail.com

### يعتد منير الماوري عن كتابة عموده لهذا الأسبوع

## متى سننسى عدالة إبراهيم الحمدي؟

**حسين اللسواس**  
al\_leswas@hotmail.com

لصالح تحالف «عسقلي» استطاع أن يستأنف مسيرته المظفرة حتى يوماً هذا الذي غدا فيه الحديث عن محاسبة فاسيد أو الإقتصاص من ظالم وصاحب نفوذ، ضرباً من المستحيلات.

### هراء وشائعات وأخذية!

عقب نجاح قوى الظلام في إزهاق روح الحمدي، بدا الغضب يلف ربوع الجمهورية الشطرية، وبصورة لم يجد معها القتل والمجرمون سوى إباحة الطعن في جثمان المغدور عبر الترويج لشائعات كثيرة..

فعلسى سعيد الحكم أخذوا يتهمونه بالدموية والتعشش لسفك دماء المعارضين والمناوئين وإعداد قوائم بمشائخ اليمن وجهانها لتصفيتها..

إما على الصعيد الشخصي انبرى الأفاقون لترويج حكايات وقصص وروايات حولت الحمدي إلى شهريار وزير نساء وعربيد وسكر... الخ.

لكن يهيات أن تطلت الحيلة، فحاسة التمييز بين النقائص التي اتقدت في عقول اليمنيين، أبت تصديق كل هذا الهراء، لينقلب سحر الشائعات فوق القتل الذين تلقى رؤوسهم ضربات بالأخذية من أيدي عامة الشعب الغاضب على رحيل قادة..

### تأسيس المؤتمر الشعبي العام

لم يكن هدف بناء دولة العدالة والمساواة هو المشروع السياسي الوحيد، إذ كان إبراهيم الحمدي يسعى لتأسيس حزب سياسي شعبي يقود دفة الدولة محققاً مطلقاً ما كان الحزب الاشتراكي يدير الدولة محققاً لشعب الجنوب عدالة ومساواة..

فكرة المؤتمر الشعبي العام، ليست من بنات أفكار علي عبدالله صالح، كما يدعي البعض، بل هي نتاج لمشروع كان الحمدي يتطلع إلى إنجازها.. أيها السادة، لا تستغربوا كثيراً، إنها الحقيقة التي يمكن التاكيد منها بالرجوع لارشيف خطابات الحمدي التي تكشف في أحدها عن عزمه المضي في تأسيس مؤتمر شعبي عام لقيادة البلاد..

بعبارة أخرى، شعبي القول إن إبراهيم الحمدي كان يملك مشروعاً سياسياً شبة مكتمل ورؤية حقيقية لإدارة شؤون الحكم والدولة في مرحلة ما بعد إزاحة مراكز القوى.

### بين صالح والحمدي

ليس من المنطق في شيء الأكتفاء بالأسطر السالفة كتدبير لخلود ذكرى الحمدي في الذاكرة الشعبية، فالرابط بين عهد الحمدي وعصرنا الراهن، يعد مسيباً رئيسياً وادفعاً بجهد الناس بطريقة لا شعورية يمارسون طقوس الترحم على الرئيس العادل إبراهيم الحمدي.

إذ إن إجراء مقارنة بين واقع اليوم وعهد الحمدي، يكشف بجلاء مدى البون الشاسع بين العهدين..

ففي عهد الحمدي كان القانون يسري على المسؤولين والمشائخ قبل غيرهم من عامة الشعب، وهنا لعل البعض لا زالوا يتذكرون ما حل بمحافظ الحديدة سنان ابو لحوم الذي أقصي آنذاك من منصبه بسبب امتلاكه لبرج في الحديدة!

كذلك الحال بما حدث لشيخ الجعاشن الذي أمر الحمدي باعتقاله مع التحقيق معه بعد أن تضاعف حجم شكواي المواطنين من ظلمه.

في واقعنا الراهن، أضحي القانون سيقاً مسلطاً على رقاب المستضعفين، وغدا من المستحيل مجرد التكبر في حالة محافظ، إلى التحقيق بتهمته الاعتداء على صحفي، وحتى لو صدر الأمر بالتحقيق فالرئيس القائد كليل بفروملته وتحويله إلى مجرد حبر على الورق مع وقف التنفيذ...!!!

ذلك مع محافظ، كيف الحال مع النافذين الكبار الذين يعيشون بحياة الناس وكرامتهم دون حسيب أو رقيب!

وهنا نتساءل: ليس في المقارنة المساواة ما يكفي لقياس الفرق بين عهد العدالة والمساواة والحداثة والمدنية وعهد الظلم والقهر والسبقية!

لغير المقتنعين نقول: حاولوا استكمال تلك المقارنة بماضية أخرى لتكتشفوا الفرق بين العهدين والرئيسين وتبلغوا بالتالي أعتاب السبب الرئيسي وراء تخليد الحمدي في ذاكرة أبناء الشعب.

وماذا بعد؟ عقب أن أضيف شبح التشطير إلى ماسينا المتمثلة في غياب العدالة وتفشي الظلم وتدور الاقتصاد وشيوع الفساد والتضييق على الصحافة نتساءل ببراءة: ألم يحن الوقت لقيام حركة تصحيحية تعيد الأمور إلى نصابها وبصورة تنسى الشعب عدالة إبراهيم الحمدي؟ مجرد تساؤل ليس أكثر.

رغم أن حركة يونيو التصحيحية (الانقلاب الأبيض) الذي ارتقى بموجه إبراهيم الحمدي إلى سدس الرئاسة في (ج.ع.ي)، أضحت ذكرى رهينة لمربعات النسيان في الذاكرة الشعبية لقاطني الجغرافية اليمنية، إلا أن سيرة قائد الحركة ما تزال حاضرة في بقايا الذاكرة الشعبية، إذ لم يفلح داء الإجهاد الذي أصابها في إلحاق تلك السيرة بمربعات النسيان رغم مضي ثلاثة عقود زمنية ونصف على المشهد المساوي الذي فاضت فيه روح صاحب السيرة إلى بارئها.

ثمة تساؤل جاد يفرض ذاته بصورة دورية كلما عادت ذكرى الرجل إلى الألسن، مؤداه: ما هو السر الكامن وراء احتفاظ الذاكرة الشعبية بسيرة هذا القائد دون غيره من حكام الجمهورية الشطرية السابقة؟! وهو تساؤل يدفعنا لنسق تسلسلي من العلامات الاستفهامية أبرزها: هل طريقة اعتياله الأئمة دور في الحضور الطاغي لذكراه لدى العامة؟ أم أن إنجازاته هي السبب؟ وماذا عن أسلوبه في إدارة شؤون الحكم والدولة، هل يعد دافعاً لتأصيل تلك الذكرى؟

### سيرة مضية

كثير من العامة يجهلون ما ترمز إليه حركة يونيو التصحيحية ومغزاها وأهداف قيامها، غير أن قطاعاً واسعاً منهم يدركون رمزية ودلالة الـ 13 من يونيو ليس باعتبارها يوماً استهلته فيه تلك الحركة، وإنما كونه شهد وصول الرئيس الشهيد إبراهيم الحمدي إلى رأس الهرم السلطوي الأعلى كقائد للجيش ورئيس للجمهورية..

لهذا ولغيره لم يكن الـ 13 من يونيو 2009، يوماً عادياً (من حيث قضايا النقاش) لكثير من اليمنيين وبالأخص أولئك الذين عاصروا حقبة الحمدي، إذ انساق الغالبية خلف نداءات الخوض في تفاصيل سيرة الحمدي الحافلة بالمحطات المضيفة..

### صراع من أجل الدولة

ربما لن نجانب منطلق الصواب إن زعمنا بأن المشروع السياسي للحمدي يتصدر موقعا متقدما في تراتبية الأسباب التي أسهمت في تخليد ذكراه لدى العامة..

فالرجل لم يكن سلطوياً انتهازياً باحثاً عن تكوين ثروة أو الاستمرار في السلطة، بقدر ما كان بناء الدولة وتعزيز قوتها هاجسه وحلمه، بالتوازي مع رغبة يقينية في تحقيق تطاعات المسحوقين من أبناء الوطن في العدالة والاجتماعية والمساواة..

ثمة من يرى إن الخطوات الإزاحية التي أقدم عليها الحمدي مقصياً بها المشائخ والشخصيات النافذة ليست سوى تأكيد على نزغته نحو الحرية ورغبته في انتهاز الديكتاتورية عبر إبعاد المنافسين. انتفاء موضوعية الرأي السابق له ما يبهره، فلو كان الحمدي باحثاً عن سلطة لما سعى لإقصاء المشائخ وذوي النفوذ بل كان سيستخدمهم دبراً وأقياً وبطانة تساعد على البقاء في السلطة أكبر وقت ممكن.

من مبررات عدم الموضوعية أيضاً، أن الخطوات الإزاحية لذوي النفوذ والمشائخ جاءت توجهاً لاستنتاجات معقدة خلاصتها تنص على أن تحقيق العدالة الاجتماعية وتطبيق القانون على الجميع وبناء دولة النظام لا يمكن أن يحدث في وجود لفيف من مراكز القوى الانتهازية المتحكمة في مسارات السلطة واتجاهات الخروء، إذ لا مñas من التضحية بمراكز النفوذ تلك، ما دام بناء الدولة هو الهدف والغاية.

ثالث مبررات انتفاء الموضوعية، أن المروجين لذلك الرأي هم خصوم الرجل الذين استغلوا نقتته بهم واستعانوا بأموال الشقيقة الكبرى للخلاص منه والعودة إلى مواقع نفوذهم المسلوية.

أغتيال مشروع الدولة لعلنا لن نبالح أن قطعنا جازمين بأن مشروع بناء دولة النظام والقانون في شمال الوطن سابقاً خضع لعملية اغتيال كذلك الذي حدث لحياة الحمدي.. ذلك إن رحيل الرجل بعملية قتل إجرامية غادرة، أعاد إنتاج تلك المراكز النقوذنية التي أحكمت قبضتها، وحولت أفراد الشعب إلى قطعان من العبيد مسلوبو الإرادة خاضعين لسلطة ذوي النفوذ من المشائخ والعسكر. لقد أجهض مشروع دولة العدالة والمساواة،

## البدلة من فرنسا والشال من القرية

سعي، غير البدلة الفرنسية التي لا يمكن لها أن تخفي قبح السلوك الشخصي لصاحبها، ولا المعوز الثمين أو الجنيبة الصيفانية، هي جميعها أشياء مظهرية، لا تكتمل أناقتها إلا بما يحويه رأس من يرتديها وسلوكه العام. وغير ذلك هي أشياء تشبه العجرفة والهنجمة على الناس البسطاء والمساكين الذين بسبب من الذين يرتدون تلك البدلات أصبحوا يبحثون عما يرتدونه فقط، ويستتر به أجسامهم الضعيفة المتهاكلة.

ابتلانا الله في هذه البلاد بأشياء كثيرة تجري على يد من يديرون شؤون البلد، بغطرسة وتكبر وثقافة قروية جعلت البلد الذي كان يسمى السعيدة يبدو في غاية الحزن والتدهور، وهم فوق ذلك لا يباليون بمشاعرنا ولا يكرثون لمصائبنا فيهم، بل يواصلون نشر ثقافة النخيط والهنجمة حتى أصبحت اللغة الرسمية لأغلب رجال النظام، وكنت سمعت من أحد الأصدقاء المقيمين في لندن أن أحد مشائخ بلادنا ذهب إلى هناك واشترى له قصراً يشبه الذي لديه في صنعاء، لكنه لم يتخل عن ثقافة المظهر التي نشأ عليها هنا، فأحاط سور القصر بكاميرات المراقبة والأسوار الشائكة العالية وما يشبه التكن والتاريس العسكرية، وهي أشياء يرفضها النظام هناك وحين حاولت سلطات لندن إزالة فساده، حاول هو استعمال ما يجيده: النخيط والهنجمة حتى كاد يتسبب بأزمة دبلوماسية.. هذا الشيخ هو بالمناسبة عضو مجلس نواب يمثل آلاف المواطنين في دائرته، وكثير من أعضاء المجلس الموقر هم على شاكلته، فبالأمس القريب كان أحد أعضاء مجلس النواب في كامل أناقته تحت قبة البرلمان وهو يوجه الشتائم والسباب لأحد زملائه في المجلس، لكن في كلتا الحالتين كان الشال والرديف واضحين أكثر من كل المظاهر التي تحيط بهما.

أخشى أخيراً أن تتسلل ثقافة النخيط والمظاهر إلى الأشياء الجميلة في حياتنا.. وبحسب علمي فإن عدداً غير قليل من الذين يطربون للأغنية الصناعية قد سمعوا للمغنية جميلة سعد الأغنية التي تبدأ بالمقطع: «يالطيف والكبير فيك.. يالطيف والهنجمة..» وهذا مؤشر سيئ على أن هذه الثقافة تنتشر بسرعة حتى وصلت إلى الأغاني، لكن قد يجوز في الحب ما لا يجوز في غيره، غير أنني أجد في هذا التعبير دلالة رمزية على التركيبة الشخصية لكثير من رجال البلد الذين لا يزالون ينظرون إلى الهنجمة والتكبر على عباد الله رمزين مهمين للتعبير عن علو الشأن والأهمية الاجتماعية، ويعتقدون بالتالي أن من حقهم التسديد على الناس والتحكم فيهم.. والحقيقة إنهم إن تفحصناهم لا يسوون شيئاً غير البدلة والرديف والنخيط والعجرفة.

\* صحفي مقيم في دبي



عبد الفتاح حيدرة  
Haidrh77@hotmail.com

هؤلاء المسؤولون قد يرتدون البدلة العسكرية أو جنبية الشيخ أو بدلة المسؤول، وهم بالعادة على رأس قبيلة أو رئاسة وزارة أو قيادة معسكر، وقد يختلطون في ما يلبسون أو يشربون لكنهم يتفقون في شيء واحد: إنهم لا يهتمون سوى بتطوير مفردات النخيط و«الشخورة»، ولا يعيرون بالآلما تحت الشال والرديف، وهو الأهم.. بمعنى تغيير الذهنية التي تحكم، والعقلية التي تأمر، وهو ما نحتاجه من المسؤولين في هذه البلاد، ثم يرتدون ما يشاؤون، حتى إن شاء الله «فوط أبو ربل» المهم يستروا عوراتهم بالعمل المخلص والسلوك الراقي، بدلا من عريهم الفاضح في بدلاتهم الأنيقة تلك..

مشكلتنا ليست في الملابس طبعاً، بل في من يرتدونها وكأنها في نظريهم كل مؤهلات الكفاءة والتحضر التي تستثير إعجاب من حولهم، وتدل على أنهم «ناس مهمين». الملابس ليست سوى تعبير عن المظاهر التي تريد هذه المقالة أن تقول أنها ليست كل شيء، وبدلاً من البدلات يمكن الحديث عن المكاتب الفخمة والأثاث الباهظ التكلفة، أو المركبات الحديثة والحراس الكثر.. وكنا نسمع أن الشخصيات التي يحيط بها المرافقون والحراس لا يعني دائماً أنها شخصيات مهمة، وكل ما في الأمر أنها تملك المال وتستطيع من خلاله أن تجمع حولها مرافقين تعلق بهم للناس أنها شخصيات مهمة، في اليمن ثمة طرق أفضل للتعبير عن أنك شخص مهم في البلد: أن يكون لديك سيارة أو سيارتين تكسران قواعد المرور في العاصمة وتبدل من أبوابها الخلفية المفتوحة سيقان المرافقين وبنادقهم.

في معظم بلاد الله المتحضرة تجد أن هناك نزوعاً لدى الأغلبية من مواطنين ومسؤولين نحو القيم الإنسانية العظيمة كالعدل والحرية والمساواة، وحفظ الحقوق والوفاء بالواجبات واحترام الآخر، والرغبة في إحلال السلام ونبذ الكره والمعاداة، وإلى ما هنالك من قيم وسلوكيات، في مثل تلك البلدان تبدو الصورة منسجمة: ناس أنيقين وصلت الحضارة إلى رؤوسهم، فتجلت في تعبيراتهم ومعاملاتهم وسعيهم الدؤوب والشاق إلى الاكتمال، والكمال لله، وإمكانية تحقيق ذلك تعود إلى مستوى وعي الناس في هذه البقعة من الأرض أو تلك، وفي المحصلة فإن التطبيق يبدو نسبياً ولا يمكن بأي حال العثور على مجتمع مثالي. ولدينا لا يوجد

اليوم أصبح بإمكاننا -نحن اليمنيين- أن نشعر بالفخر، لأن كثيراً من رجال الحكم في بلادنا أصبحوا في غاية الأناقة، ويبدون على الدوام بصحة جيدة، وهم يرتدون الثياب النظيفة، ويركبون السيارات الفارهة، ويشربون «الكابتشينو» ويقولون «بييس» و«نو» وأحياناً «أي دونت نو».. غير أنهم وسط عملية التطوير والتحديث الذاتي تلك ينسون تفصيلاً صغيراً، أنهم يتركون عقولهم كما هي «بلدي خالص». ويشبهون تماماً ما ذكره المفكر الجزائري مالك بن نبي عن ذلك الرجل الذي ارتدى البدلة الفرنسية، ثم عم رأسه بالشال والرديف وحين سئل عن المغزى قال: «لقد دخلت الحضارة من قدمي لكنها لم تصل بعد إلى رأسي».

رجال السلطة هؤلاء، وبعض مشائخ البلاد، أصبحوا يذهبون إلى دكاكين الأناقة في روما وباريس ليقتنوا الثياب الفاخرة والبدلات الأنيقة، ويجدون من يربط لهم الكرافته ومن يختار لهم الحذاء ويدهمهم على زجاجة العطر ذات الماركة الشهيرة، ورغم ذلك لا يبصر فيهم الكثير من أبناء الشعب سوى القبح والدماغة والرائحة الفاسدة. لأن هؤلاء الناس مهما «ترينوا وتصلحوا» لم يصل التحضر بعد إلى تفكيرهم وسلوكهم، ولا يزالون بالعقلية ذاتها التي أتوا بها يوم اعتلوا السلطة، بالثقافة المتخلفة نفسها التي جاءت معهم من أسوأ ما في الموروث القبلي الذي تربوا عليه ولا يرى في أجهزة الدولة سوى الفيد والغنيمة.. يظنون أنهم متحضرين بالبدلة والكرافته، أو رجال دولة بالكرش والجنبية، وهم لا متحضرين ولا رجال دولة.. ولا يظهر لي كلما رأيتهم سوى الشال والرديف.

هذا الكلام قد يبدو قاسياً، ومن حق القارئ أن يتوقف هنا إن أراد، لكن العادة السيئة في متابعة خطب ومؤتمرات وندوات رجال السلطة تجعلني أقول ما هو أكثر من ذلك، فهم على الدوام تقريباً يحضرون بخطبهم التقليدية وكلامهم الملل وإنجازاتهم الوهمية، ولا تجد فيهم من يقول كلاماً تستطيع أن تصدقه، أو حتى يمر من دون أن يرفع الضغط ويعجل بالسكري.. ثم تجدهم يقاوتون من أجل أن تظهر صورتهم الخارجية أمام الرأي العام بصحة جيدة وأناقة ملفتة للإعجاب.. وكثير من زملاء المهنة في الإعلام الرسمي يعرفون ذلك، وقد يتعرض بعضهم للتوبيخ أو الطرد لأن صورة هذا المسؤول أو ذاك لم تظهر بالشكل المطلوب في هذه الصحيفة أو ذلك، التقرير المصور.. ولعل البعض يتذكر العدد الأول من مجلة الأنيقة «أبواب» التي حجزت في مطار صنعاء لأن صورة السيد الرئيس على غلاف العدد لم تكن «حالية»، المهم إذا أن تكون الصورة جميلة، وتظل بعيدة عن العين والحسد.. وقد قرأنا وسمعنا عن قصص الفساد المخزية أن جزءاً كبيراً من ميزانية بعض الوزارات يذهب إلى الإنفاق على بدلات الوزراء وديكوراتهم المختلفة.

### إما جنود وإما كباش.. وبعيداً عن قضايا الغلابي

## ما أروعه من حراك!

عمر دوكم

om711428260@yahoo.com

الجعاشن الشهير شارك في هذا المدعو (حراكاً)، والذي يراد إقناعنا أنه سينصف مواطني تعز وباب، وسأعلم بعدها كم يؤمن هؤلاء المشائخ أننا ننتمي إلى فصيلة كباش الرمادة!

● السلطة تضغط على السلطة إذن، ومشائخنا ذوو السجون الخاصة، والذين عانينا من بعضهم الوليات، الذين يمثلون رموزاً سلبية لمناطقهم في السلطة، ها هم يؤمنون أخيراً بالنضال السلمي - المغضوب علي سابقاً - لكن لأرباب في نفوسهم، بعيداً عن قضايا وهموم مواطنيهم الغلابي، وعلى رأي (الشيخ) سلطان البركاني: «كلنا جنود (الشيخ) الشوافي!»، إذن نحن أمام خيارين: إما كباشا للسلطة، أو جنوداً لفلان وعلان الذين هم جزء من السلطة.. ما أروعه من حراك!

السنين: كالماء المالح الذي نتجرعه ولا نكاد نسيغه، هذا إن حصلنا عليه، وكذا على قضاياها الطارئة التي مرت عليها الشهور الطوال ك مقتل الطبيب درهم القدسي، والاعتداء على مدير أوقاف نمار عبدالرقيب الصبري من قبل نافذين في السلطة ما زالوا طلقاء إلى اليوم.

● تذكر مشائخنا وممثلونا في السلطة فساد القضاء فقط بعد يومين من الإفراج عن المتهم بقضية مقتل الشيخ أخو الشيخ، ولأن السلطة تعامل أبناء تعز على أنهم (كباش) على رأي العلامة المفتي ابن عقيل: رغم أنه كان يجلس جنباً إلى جنب مع بعض مشائخ الحراك الذين شارك بعضهم في تكبيش أبناء المحافظة والتسلق على ظهورهم للوصول إلى مأرب شتى.. ينقصني فقط أن أعلم أن شيخ

● بعد يومين فقط من إفراج المحكمة عن عضو مجلس النواب المتهم في قضية مقتل الشيخ أحمد منصور الشوافي - مدير مديرية خدير وأخ الشيخ محمد منصور الشوافي شيخ المنطقة وصاحب اليد الطولى فيها ووكيل محافظة تعز: بعد يومين فقط يتداعى بعض مشائخ ووجهاء ورموز السلطة في تعز وباب للاجتماع فيما سُمي بحراك المناطق الوسطى!!

● بقيادة رئيس الكتلة البرلمانية للحزب الحاكم الشيخ سلطان البركاني، ووكيل محافظة تعز الشيخ محمد الشوافي - أخ القتل - ينظم (حراك) مشيخي سلطوي) بامتياز، أو هكذا بدا لعقلي الساذج.. من المجتمع مروراً سريعاً على قضايا تعز الاستراتيجية التي مرت عليها عشرات

## دعوة للتعقل



خالد المحمود  
khalidalidmahmoud@gmail.com

ينبغي أن تكون الحكمة لازمة لمتصفح الإنترنت فيما يشمل الأخبار دون أن يتوقف عندها. وإذا كان حديثنا الأسبوع الماضي عن قوله تعالى «فتبينوا»، فإن الواجب أن نتحدث أيضاً عن قوله «أفلا تعقلون»!

خذ مثلاً تلك القصص العاطفية التي تحاول ابتزاز مشاعرنا بما نؤمن به سلفاً، مثل ديننا الحنيف. كان تحاول أن تثبت لنا أن الإسلام هو الرسالة الخالدة التي أنزلها الله للعالمين وهو العروة الوثقى التي تحول بين المؤمن به وبين الشرور في هذا العالم، بأن تروي لنا ما جرى مع أحد الأشخاص في مكان ما. وتجد الحكايات الغريبة وغير المترابطة عن كيف تدخل الملائكة لحماية المؤمنين، وتاليف القصص عن آيات أعلنا بها المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكان إيماننا لن يتم إلا بتصديق القصة المرعومة. واحدة من تلك القصص كانت حواراً متلفراً بين الزميلتين إيمان بنورة (سابقاً) مذيعة الأخبار في قناة الجزيرة وشيرين أبو عاقلة مراسلة الجزيرة في فلسطين حيث نقلت الأخيرة قصة مفادها أن شجرة نادت مسلحاً فلسطينياً لتخبره عن وجود جندي يهودي وراءها، وذلك -والحديث ما يزال للزميلة المسيحية شيرين أبو عاقلة مخاطبة الزميلة المسيحية آنذاك إيمان عياد- مصداقاً لحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن الساعة لن تقوم حتى يقول الحجر والشجر: «يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله».

وهنا احتاج للتأكيد أنني لست أنكر حصول بعض المعجزات أو الكرامات لبعض المؤمنين. ولكن من المهم أن نعي أن الإيمان بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً ينبغي أن لا يبنى على معجزة أو كرامة. فديننا الحنيف يخاطب العقل بالحكمة والموعظة الحسنة، ويدعو أتباعه للتفكير والتدبر في آيات الله المبرورة والمنظورة، وتصديقنا به واجب بغض النظر عن حصول المعجزة من عدمها. ولنا في رد فعل سيدنا أبي بكر الصديق قودة، عندما جاءه الكفار ساخرين من النبي صلى الله عليه وسلم لأنه زعم أنه سرى إلى بيت المقدس وعاد منه في ليلة واحدة، بينما هم يضربون له أكباد الإبل أشهراً ورواحاً ومجيباً. فما كان منه رضي الله عنه إلا أن قال «لئن كان قال ذلك فقد صدق. إنني أصدق في خبر السماء، في دعوة أو روحة».

ولقد قال أحد الصالحين مرة ما معناه «والله لو أن الغيب انكشف لي فاطلعت على الجنة والنار ما زاد ذلك في إيماني شيئاً». وكان يرمي إلى أن إيمانه ليس مبنياً على اطلاع على الغيب، وإنما على ثقته في الخالق العظيم الذي أحسن كل شيء خلقه، فليس في كشف المستور ما يزيد إيماناً.

وما نعرفه نحن من سيرة النبي صلى الله عليه وآله من معجزاته (غير القرآن الكريم) لم تكن سبب إسلام أصحابه، إلا القليل القليل كما في معجزة شهادة الضف بأنه رسول الله وإسلام الأعرابي بسببها. بل إن ما روي لنا من قصة الإسراء والمعراج أن بعض أصحاب النبي ارتد عن الإسلام لعظم المعجزة وعدم قدرته على تصديقها «وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين». ناهيك طبعاً عن عبد القصص التي وردت عن بقية أنبياء الله، وتكذيب أقوامهم لهم أكثر بعد إتيانهم بالمعجزات التي طلبها منهم أقوامهم. ولعل في ذلك إشارة ربانية إلى ضرورة عدم الاعتماد على المعجزات للتصديق بالله، خاصة أن اختباراً عظيماً مثل المسيح الدجال سيأتي بمعجزات عظيمة، بيد أن ذلك لا ينبغي أن يكون مدعاة لاتباعه أو الإيمان به.

والحذر ضروري في التعامل مع تلك القصص المتداولة في الإنترنت، خاصة تلك التي تعلق فيها البررة العاطفية والمشاعر الجياشة على صوت العقل في النظر إلى الأمور. وما قصة كنيسة سيدليك التشيكية والمغترض أنها مبنية بعظام المسلمين عنا ببعيد. ولو أن من نقلوا القصة باعتبارها شاهداً على جرائم «الصلبيين الحاقدين» استخدموا شيئاً من منطقهم الفطري لأدركوا أن أي «صليبي حاقد» لن يبني أقدس مبنى لديه بعظام أناس يعتبرهم كفاراً أنجاساً ليس لهم من ماوى إلا الجحيم. فهل يُعقل أن أحداً يبني معبده بعظام عدوه الذي يمثل كل شيء مضاد لمعتقد، تماماً مثلما أن أي مسلم مهما كان تطرفه لن يبني مسجداً بعظام يهودي أو هندوسي.

وما يجدر التفكير فيه قبل أن يرسل المرء شيئاً من تلك القصص إلى غيره أن يسأل نفسه: ما هو المغزى من القصة؟ أو ما الذي سيستفيد القارئ منها؟ خاصة إذا كانت فيها نبرة عنصرية أو دعوة مذهبية قد تكون سبباً للتفريق بين طوائف الأمة وشعوبها أكثر مما تجمعهم.

وعليه، فإن استخلاف الآخرين لك بإرسال الرسالة وربط إيمانك بها أمر غير ملازم بحال من الأحوال، كما قال الشيخ محمد صالح المنجد في أحد دروسه بهذا الخصوص. فقراءة القسم لا تعني التزامك به ما لم تعقد له نية صادقة.

وإياك.. ثم إياك أن تعد أحداً بالأجر عند إرساله بريدك للآخرين. فمن الحكمة المطلوبة في تعاطيك مع الشبكة الدولية أن تترك أنك مجرد إنسان، ولست ممن خصهم الله بالاطلاع على الغيب أو معرفة ما سيؤجر به الناس.

●●●  
أذكر أخيراً بآية «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا، أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على فعلتم نادمين». والشاهد من أن نزولها في حادثة جرت مع صحابي، هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط رضي الله عنه، لم يمنح من إطلاق وصف الفاسق على من يأتي بخبر ليس له مصداق من الحقيقة. وافق أننا مرتادي الإنترنت ليسنا نكرم عند الله من أحد الأصحاب الكرام. لقد قال الأديب الراحل مصطفى صادق الرافعي «إذا لم ترد شيئاً على الدنيا، فاعلم أنك زائد على الدنيا». أما أنا فاقول: إذا لم ترد شيئاً على الدنيا، فليس أقل من ألا تخربها بريد إلكتروني! أرجو أن شيئاً من المفيد قد نال بعض القراء، ولذلك لن أختتم بذلك القول المأثور «أنشر ولك الأجر»!